شعرية العنوان الإفرادي وتكرار حرف الهاء بين السلطة والهوية:"مقاربة صوتية ودلالية في رواية هُواريّة"

The Poetics of the Singular Title and the Repetition of the Letter "H" between Authority and Identity: "A Phonetic and Semantic Approach in the Novel Houaria"

خروب سارة [1]

[2] جامعة بسكرة (الجزائر)، sarra.kherroub@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 تاريخ القبول: 2025/09/12 تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص: تتناول هذه الورقة البحثية أهمية العنوان في النصوص الروائية باعتباره عتبة أولى تُفضي بالقارئ إلى عالم الرواية، وتركز على شعرية العنوان في رواية ''هُوّاريّة''من خلال تكرار حرف الهاء الذي يعكس هشاشة الذات الأنثوية تحت وطأة السلطة الذكورية، ويُظهر محاولات المرأة المستمرة لبناء هويتها،وتنطلق هذه الدراسة من فرضية أن العنوان هو اختيار إبداعي يحقق وظائف جمالية ودلالية، كما تسعى لتحليل التوتر بين السلطة الذكورية والهوية الأنثوية عبر التحليل الصوتي والتأكيد على رمزية حرف ''الهاء''في تمثيل الأنوثة المقهورة بالإضافة إلى إبراز جماليات العنوان وارتباطه بمحتوى الرواية وتطور شخوصها.

كلمات مفتاحية: الشعرية؛ العنوان الإفرادي؛ البنية الصوتية؛السلطة والهوية.

Abstract : The article examines the role of the title as a key entry point into the narrative world and meanings of a novel. It highlights the poetic quality of the title in "Houaria" through the repetitive use of the letter "H," symbolizing the fragility of the female identity under male dominance. This repetition reflects the woman's ongoing struggle and her continuous efforts to assert herself amidst societal pressures. The study reveals how the title not only acts as a mere label but as a crucial element that enriches the novel's thematic and narrative depth.

Keywords:poetics; individual title; phonetic structure;powerand identity

المؤلف المرسل: خروب سارة، **الإيميل**:sarra.kherroub@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

يشكل العنوان أحد العتبات النصية في العمل الأدبي، إذ يعتبر البوابة الأولى التي تفتح أفق المتلقي وتمنحه إشارات استهلالية حول النص، ذلك أن "العنوان ظاهر وبارز ومعترض، فهو أول لقاء ماديّ فيزيقي محسوس بين القارئ والكاتب/ أو للقارئ بالكاتب، فكأن العنوان يعترض ويظهر ويبرز أمام القارئ معلنًا عن نفسه"(قطوس، 2001 ، ص 31)، ولهذا كان العنوان بمثابة عنصر جوهري يُسهم بشكل فعّال في بناء هوية العمل، كونه علامة لغوية كاشفة تغري القارئ وتدفعه للقراءة ، ولعل هذا ما يستوجب وقتًا وجهدًا للتخمين فيه والعثور عليه، كونه يختزل ويعتصر المضمون الواسع للنص ويحتويه ،هذا ما دفع بشوقي بزيغ إلى التصريح بصعوبة ذلك في قوله "لا طالما وجدت صعوبة بالغة في العثور على عناوين ملائمة لمجموعتي الشعرية التي سبق وأن أصدرتها خلال ربع قرن من الزمن ،ذلك أني أعلم تمام العلم ما للعنوان من أثر عميق في نفس القارئ ،ومن جاذبية فائقة تسهم أغلب الأحيان في تسويق الكتاب ووضعه على طريق النجاح ،كثيرا ما حدث أني استغرقت شهورا عدة في البحث عن العنوان الذي أريد والذي يشع بريقه الغامض في باطن الروح دون أن يبلغ مرتبة الوضوح والإفصاح... هذه المعاناة لا تخص كاتبا أو شاعرا بعينه ،لعل معظم الكتاب والشعراء بوجه خاص ،يواجهون هذا الاستحقاق المضني ويعانون من وطأته المرهقة التي لا يملكون تجنبها"(بزيغ، 2005 ، ص 226)، ولعل شوقي بزيغ يخص بكلامه هذا الشعر كجنس أدبي لم يشهد عند العرب منذ القديم ارتباطه القوي بالعنوان مقارنة بالنثر فقد استغنى الشعر في الكثير من المناسبات عن العنونة، عكس النثر الذي بقي لصيقًا بها(قطوس ي.، 2001 ، ص 117).

لأجل هذه الغاية تطرح هذه الدراسة تساؤلًا حول كيفية تأثير العنوان على تجربة القارئ وفهمه للعمل الأدبي، وما هي الخصائص التي تجعل من العنوان أداة إبداعية في الرواية بشكل خاص؟ وفرضية التي يتم تبنيها هنا هي أن العنوان يشكل نقطة انطلاق حيوية لفهم النص الأدبي، وأنه لا يمكن النظر إليه كعنصر شكلي بل يجب استكشافه كجزء من البناء السردي ذاته.

كما تهدف إلى البحث عن تحليل دور العنوان في الرواية من خلال دراسة الأنماط المختلفة للعناوين وأثرها على القارئ، مع التركيز بشكل خاص على "شعرية العنوان الإفرادي"، وبإتباع منهج تحليلي قائم على تفكيك العناوين ودراسة أبعادها الدلالية والجمالية ضمن النصوص الروائية، بهدف تقديم فهم أعمق لكيفية تأثير العنوان على النص وعلى عملية تلقيه من قبل القارئ.

2.شعرية العنوان الإفرادي :

يعد العنوان الإفرادي مكونًا محوريًا في بنية العمل الأدبي، متجاوزًا دوره التقليدي كأداة تعريفية للنص، ليغدو عنصرًا جماليًا وتأويليًا يثري التجربة القرائية. فهو يمثل المدخل الأول لعالم النص، مفعّلًا حوارًا ديناميكيًا بين القارئ والعمل الأدبي، ورهان الكاتب هنا هو قدرته على استجلاب واستحضار ذلك العنوان المكون من مفردة واحدة والمشحونة بطاقة إيحائية عالية تنبجس منها معانٍ متعددة، وتكون في الغالب العناوين الإفرادية رموزًا أو استعارات تحيل إلى مفاهيم عميقة، مما يمنح النص أفقًا جماليًا وشعريًا مفتوحًا يتطلب من القارئ التأمل والتأويل، لذلك فإن محاولة المؤلف اختيار عنوان إفرادي لنصه يستوجب منه انتقاء الكلمة المناسبة بعناية فائقة لضمان توافقها مع جوهر العمل الأدبي وروحه، لأن العنوان ليس مجرد اسم لنص بل هو جزء عضوي من بنيته ، والشعرية هنا تكمن في قدرة العنوان على تقديم إشارات كافية لاستثارة الفضول والتفكير دون الإفصاح الكامل والصريح عن ما يتضمنه النص، مما يعزز بقوة التفاعل بين القارئ والنص من خلال توليد المفارقات والمتناقضات إذ يمكن للكلمة الواحدة أن تحمل في طياتها معاني متنافرة أو معقدةأو متشابكة، تُضفي بُعدًا جماليا يُغني تجربة القراءة، ويستفز القارئ إلى البحث عن العلائق الموجودة بين الكلمة والنص ويثير داخله تساؤلات عن ارتباطها بالسياق العام وبالفكرة المركزية للمتن.

1.2قراءة في عنوان رواية "هُوارية":

1) السياق العام للرواية:

تسلط رواية "هُواريّة"الضوء على حياة فتاة مراهقة تحمل اسم الرواية، وتعيش في أحد الأحياء الشعبية بمدينة وهران خلال فترة العشرية السوداء الدامية تنتمي هوارية إلى أسرة بسيطة ومتواضعة مكونة من والدتها التي تعمل خادمة في البيوت، وشقيقها هُواري المعروف بانفلاته و بسلوكه الإجرامي، وزوجته

هدّية التي اشتهرت بسمعتها السيئة، الأسرة تقطن في حي ((اكميل)) داخل"حوش"مكتظ بالعائلات حيث تتشابك الحكايات المؤلمة وتطغى مظاهر البؤس والمعاناة من خيانة، وعنف، وآفات اجتماعية متنوعة.

ضمن هذا العالم القاسي، ينشأ تواصل عاطفي بين هوارية والشاب هشام، الذي يُعجب بها رغم سذاجتها التي تصل إلى حد البساطة المفرطة، وفي أحد الأيام قرر اصطحابها في رحلة إلى مدينة عيون الترك الواقعة في ضواحي وهران، لكن تلك الرحلة انتهت بمأساة في ملهى ليلي حين تدخلت جماعة إرهابية مسلحة مستهدفتًا الطبيب هاشمي الناشط سياسيًا، لتقتل مكانه هشام بالخطأ وتقطع رأسه أمام أعين هوارية.

تشهد هوارية تلك الحادثة البشعة التي تهز كيانها، فتصاب بانهيار نفسي يدخلها مستشفى الأمراض العصبية لتتلقى العلاج من الصدمة العنيفة التي تعرضت لها، وبعد فترة من العزلة والتعافي، تخرج هوارية من المستشفى وقد اكتسبت قدرات استثنائية تتجاوز المألوف، لتتحول من فتاة صامتة وعاجزة إلى عرّافة منجمة، تترصد النجوم و تقرأ الكف، وتكشف أسرار الغيب المخبوءة، لتبدأ مرحلة جديدة ومثيرة من حياتها تجعل منها صاحبة مكانة وجاه وقيمة وسط مجتمعها، يقصدها المرضى كما تسميهم ليتبركوا بها وليعرفوا طالعهمومستقبلهم وما تجود به عليهم من قراءات تبعث في نفوسهم الطمأنينة و الأمل .

2) تحليل عنوان الرواية :

اختارت إنعام بيوض اسم "هُواريّة"لعنونة روايتها، وهو اسم ذو دلالات متعددة و رمزيات شعرية عميقة، باعتبار العنوان "مفتاحًا منتجًا ذا دلالة ليس على مستوى البناء الخارجي للعمل، بل يمتد حتى البنية العميقة ...ويدفع السلطة الثلاثية (المبدع–النص–المتلقي) إلى إعادة إنتاج تتيح لعوامل النص الانفتاح على أكثر من قراءة"(اليوسفي، 1992 ، ص 18)،وبالتالي يكون العنوان بمثابة هوية ووسيلة تمهيدية و تقديمية للنص.

ويُعتبر عنوان الرواية "هوارية"هنا من العناوين الإفرادية المقتضبة، فلا "يصح لبنية العنوان أن تفرط في الطول، لأن العنوان لا يعدو أن يكون علامة دالة على النص، وكلما كانت العلامة أكثر إيجازًا و اختصارًا للمعنى كان أفيد وأجمل"(الإدريسي، 2005 ، ص 45)، وصيغة العنوان هنا في الرواية لا تتعدى مفردة واحدة تحمل بين طياتها دلالات شعرية وجمالية عميقة ترتبط بالشخصية المركزية للرواية وكذلك بالفضاء الجغرافي الذي يمثلها. ما يعكس قصدية في الإشارة إلى شيء محدد.

يمكن القول بأن اختيار الكاتبة هنا للعنوان المفرد كان موفقًا للغاية فقد أظهر تفاعلًا جماليًا بين اللفظ والمعنى، وعكس رغبتهافي أن تدمج بين شخصية بطلة الرواية وبين الهوية الثقافية والمكانية التي تُجسدها وبالتالي هو عنوان يُعد جزءًا من "الكل"الذي تحاول الرواية التعبير عنه، وفي الوقت ذاته يفتح نوافذ متعددة لفهم النص.

إن محاولةالإحاطة بشعرية عنوان الرواية هنا يمكن أن تكون صعبة إلى حد ما، ذلك "لأن الكلمة الواحدة حين توضع عنوانًا، وفي معزل عن مفهوم المجاورة اللساني، لا تحمل إلا معناها الخاص.وهي لا تساهم في تكوين أفق الانتظار والتوقع عند المتلقي إلا بارتباطها بغيرها حتى يتشكل الفضاء الدلالي للعنوان. هذا بصورة عامة، أما في الإبداع... فيكتسب العنوان المفرد أفقه الجمالي واتساعه الدلالي من خلال ارتباطه بالسياق العام...وبما أن القراءة ، أي قراءة تروم كشف غياهب الكلام"(سعيدي، 2013 ، ص 108)فهي التي تسلمنا مفاتيح الدخول إلى ذلك السياق وبالتالي الوصول إلى فهم وإدراك جماليات العنوان"فتصبح قراءة مثل هذه العناوين اليتيمة/ المفردة قراءة تحدد جماليات العنوان استنادا إلى المسار الجمالي الذي ينحوه المتن"(سعيدي، شعرية المفارقة ، 2013 ، ص 109).

نقف الآن أمام عنوان هُواريّة الذي يمثل جزءًا من النسيج السردي يحيلنا مباشرةً إلى مدينة وهران التي تُشكّل مسرح أحداث الرواية، وبالولي الصالح "سيدي الهواري"، مما يضفي على النص أبعادًا دينية وروحانية. أما من الناحية اللغوية، يحمل الاسم طابعًا تاريخيًا وثقافيًا مميزًا في الجزائر، إذ يُعد تأنيثًا لاسم "هُواري"، الذي يُعتقد أن أصوله تعود إلى قبيلة هوارة الأمازيغية الشهيرة في شمال إفريقيا.

وفي اللغة العربية، يشير الاسم المذكر هواري إلى الجندي في فوج غير منظم، بما يعكس دلالة على المقاتل أو شاكي السلاح)قاموس المعاني(2010 ,. كما أن "هُواريّة"في حد ذاتها اسم يحمل في طياته جمالًا شعريًا خاصًا، يعود بالدرجة الأولى إلى تأثير الصوت والإيقاع. فالكلمة تستحضر مباشرة في ذهن القارئ، صورة الفتاة الوهرانية، التي تُعتبر رمزية للمكان. "فهُواريّة"تمثل المرأة أو الفتاة الجزائرية التي تنتمي إلى مدينة وهران، التي تُعد واحدة من أهم مدن الغرب الجزائري. فبمجرد أن يقرأ القارئ هذا العنوان، ينتقل عقله لا شعوريًا إلى هذه المدينة الساحلية التي تحمل طابعًا فريدًا من نوعه في التاريخ والثقافة الجزائرية. وهران، بتاريخها الموّشى بالتنوع الثقافي واللغوي، تُعد مكانًا يتجسد فيه التفاعل بين الشرق والغرب، وبين الأصالة والحداثة، وهو ما ينعكس في شخصية "هوارية"التي تمثل ذلك الامتزاج بين العراقة والتجدد.

الاسم "هُواريّة"يمكن أن يُعتبر بمثابة تجسيد للرابط العميق بين الإنسان والمكان. فعندما تُنطق الكلمة، يشعر القارئ كأنّه يتنقل من مجرد اسم إلى صورة حية لمدينة وهران، وهنا تتجلى الشعرية في كون العنوان له القدرة على نقل إحساس القارئ مباشرة إلى البيئة والمكان دون الحاجة إلى الإطالة والتعقيد وكأن الكاتبة قد اختزلت العالم بكامله في كلمة واحدة، شاملة لدلالات تاريخية وثقافية وهوية في آن واحد، لتصبح"هُواريّة"رمزًا لهذا الفضاء الجغرافي الثقافي المتعدد.

إن النطق بكلمة "هُواريّة"يحمل إيقاعًا موسيقيًا فنيًا، فالحروف المتعاقبة فيه تُحدث انسجامًا في الأذن، إذ يبدأ اللفظ بحرف الهاء المغلق، التي يعطي انطباعًا بالعمق، وينتهي بحرف الياء الذي يحمل سمة الأنثوية والنغمة الرقيقة. وبين هذه الحروف تنسج الكلمة إيقاعًا دافئًا يُماثل في طبيعته الصوت الطيب الذي يرافق وصف امرأة، ولعل هذا ما دفع بالكاتبة إلىاختيار اسم "هُواريّة"الأنثوي، المقابل لاسم "هُواري"المذكر، ولسعيها ضمنيًا في محاولة تحقيق المساواة بين الجنسين، وكسر الهيمنة الذكورية. ويتجلى هذا التوجه في شخصية "هُواريّة"وشقيقها"هُواري"، حيث يعكس الصراع بينهما هذا التوتر. كما يتكرر هذا النمط في شخصيات أخرى في الرواية، مثل "هاني"و"هناء.

أما من الناحية الشعرية فاسم "هُواريّة"يحمل رمزية خاصة نابعة من بنيته الموجزة إذ يُعتبر بحسب الرواية رمزاً للفتاة الخاضعة الرقيقة والبريئة حد السذاجة، والتي رغم هذه الصفات فإنها لم تسلم من تعرضها

للظلم والقهر و الإهانة حتى من عائلتها، وهذا ما يعكس التحديات التي تواجهها المرأة داخل مجتمع لا يؤمن بها ولا يحترم كيانها .

إلى جانب عنوان الرواية "هُواريّة"نجد ونحن نقلب صفحاتها عناوين فرعية وظفتها الكاتبة إنعام بيوض كدعامة ركيزة للعنوان الرئيسي الذي يرسم الإطار العام للعمل الأدبي، مما يجعل الرواية مقسمة إلى قطع صغيرة لها عناوينها الممثلة في أسماء شخصياتها وبالتالي لم تخرج عن إطار العنوان العام الذي هو بدوره اسم لأحد الشخصيات إلا أنها بطلة الرواية، فاستحقت أن تتصدر جميع العناوين وتكون على رأسها.

العناوين الفرعية الموضوعة لكل قطعة من قطع الرواية تشكل نافذة تسلط الضوء على شخصيات معينة، ما يتيح استكشاف ظروفها الفردية ودوافعها النفسية والاجتماعية، فمثلا في الجزء الخاص بشخصية هشام والمعنون باسمه تخبرنا الكاتبة في بدايتها وفي بنية سردية متميزة، بأن هشام يبلغ من العمر الثامنة عشر وبأن لديه أحد عشر أخًا ووالد حاضر غائب لا يعرف مستقره، فإذا غلبه الحنين يطلّ عليهم من حين لآخر في تلك الغرفة التي بالكاد تتسع لهم في ذلك الحوش الذي يقع نهاية الزقاق المقابل للشارع الرئيسي لأكميل ومعه بعض الأغراض والهدايا التي يجلبها لهم، ولأنه كان رجلا سكيرا فإنه كان يوسع والدة هشام ضربًا حتى تتدفق الدماء من أنفها وفمها من أثر اللكمات التي يوجهها لها حتى أصبح مجيئه عبئًا على العائلة وبخاصة هشام الذي ما إن كبر حتى أصبح يرد له الصاع صاعين لاسيما وهو يذكر أفضال أمه عليه وعلى إخوته فقد قضت سنوات وهي تعمل في مطعم راقٍ في وسط وهران وتحضر لهم وحتى للجيران بقايا الأطعمة الفاخرة من لحوم وأسماك ثم تنتقل الكاتبة إلى سرد حيثيات لقائه وإعجابه بهُوارية ومحاول التقرب من أخيها هُواري .(بيوض، 2023 ، ص من 23 إلى 38).

الأمر ذاته مع الجزء المعنون بهبة وهي شخصية أخرى من الرواية وقد عرّفتنا فيه الكاتب على من تكون هبة و كم سنها ثم قدمت لنا بعض صفاتها الخارجية كوجهها الطفولي الأسمر الشبيه بوجه الملائكة وقوامها الممشوق كل هذا جاء على لسان الشخصية البطلة هُواريّة، وهي تخبرنا عن زيارة هبة لها لأجل مساعدتها في بحث حول الأولياء الصالحين في وهران وكيف أنها في الأخير كشفت حقيقة زيارتها التي كانت تبحث فيها عن مخطوط اسمه الياقوتة(بيوض ي.، 2023 ، ص من 154 إلى 158).

من خلال هذه التقنية يمكن القول أن الرواية لم تُقدم قصتها بشكل تقليدي متتابع، بل فتحت المجال أمام القارئ ليعيد تشكيل الأحداث ورسم خريطة السرد بنفسه، معتمدًا على فهمه الخاص ووعيه بالسياقات المختلفة، هذا الأسلوب التفكيكي، يُضفي على الرواية بُعدًا تفاعليًا حيث يتحول القارئ من مجرد متلقٍ سلبي إلى مشارك فعّال في بناء النص وتأويل معانيه، وهو ما يمنح العمل الأدبي عمقًا إضافيًا ويعكس تعقيد الشخصيات وتشابك مصائرها في إطار سردي غني بالتعددية والانفتاح على التأويل.

هذا البناء السردي الذي ميّز رواية "هوارية"عكس بشكل واضح اهتمام الكاتبة بتفكيك السرد التقليدي وابتكار أسلوب جديد يضع القارئ في مركز التجربة الأدبية، فالعناوين الفرعية التي تحمل أسماء الشخصيات لا تعمل فقط على تفتيت السرد إلى مقاطع صغيرة، بل تخلق لكل شخصية مساحة خاصة، تجعل منها بؤرة للحدث مما يسمح بتعمق أكبر في أبعادها النفسية والاجتماعية، وهذه القطع ليست منفصلةً عن بعضها البعض بل تتشابك في بنيتها مع باقي النص، الأمر الذي يجعل القارئ أمام تجربة تشبه تجميع قطع الأحجية، حيث تُمنح القصة بصورتها الكاملة بل تُترك للوعي الفردي مهمة الربط بين الأجزاء واستكشاف العلاقات التي تربط الشخصيات بعضها ببعض ،بالإضافة إلى أن هذه التقنية تُبرز مفهوم تعدد الأصوات السردية، حيث تسمح الرواية لكل شخصية بالتحدث عن ذاتها أو أن تُروى من منظور خاص بها.

لجأت الكاتبة أيضا في الدائرة نفسها إلى تكرار للعناوين الفرعية، فنجد اسم الشخصية متبوعًا برقم متسلسل مثل هُواري وهُواري 2، أو هُواري3، هديّة، هديّة2، هاشمي، هاشمي2، والكثير من عناوين الشخصيات على هذه الشاكلة، هذه التقنية أو الطريقة تخفي وراءها دلالات عميقة على مستوى البناء السردي الدلالي، لأن هذا التكرار يشير إلى بعض الشخصيات التي تمتد عبر أكثر من مقطع، ما يعني أن الكاتبة اختارت أن تقدّمها على مراحل. هذا النمط السردي يمنح القارئ إحساسًا بوجود ديناميكية مستمرة داخل النص، حيث لا يتم تقديم الشخصيات ككيانات ثابتة، بل كذوات متغيرة، يتكشف وعيها وأحداثها وفق منظور متدرج فمثلا شخصية هُواري تظهرُ الرواية كيف أن البناء السردي القائم على التقطيع الزمني والمقاطع المتكررة يسهم في تقديم الشخصية بطريقة تدريجية، مما يتيح للقارئ إعادة تركيب

صورتها وفقًا لتطور الأحداث.هذه من جهة ومن جهة أخرى تهدف هذه الاستراتيجية السردية إلى تكثيف حضور بعض الشخصيات وإبراز دورها المتجدد في النسيج الروائي، فبدلًا من تقديم كل شخصية دفعة واحدة ضمن مقطع واحد، يتم توزيعها على أكثر من موضع، مما يعكس حركية في السرد ويمنح الشخصية أبعادًا متطورة عبر الزمن الروائي، بمعنى أن القارئ لا يتلقى صورة ثابتة عن الشخصيات، بل يكتشفها شيئًا فشيئًا، وكأنها تتطور ملامحها تدريجيًا كلما ظهرت من جديد.

أما من حيث اختيار الشخصيات التي تكررت عناوينها، فإن أغلبها تنتمي إلى الدائرة القريبة من هوارية، وهذا يعكس مغزى سرديًا يرتبط بفكرة العلاقات الجوهرية في الرواية. فهذه الشخصيات ليست مجرد عناصر ثانوية، بل هي شخصيات محورية مرتبطة بـهُواريّة بشكل وثيق، سواء على مستوى العلاقات العاطفية، العائلية، أو الاجتماعية. إن تكرار العنونة بأسمائهم يشير إلى أن وجودهم ليس عرضيًا، بل هم شخصيات تشكّل، بشكل أو بآخر، امتدادًا لحياة هوارية نفسها، وكأنهم مرايا تعكس جوانب متعددة من هويتها أو عوامل مؤثرة في مصيرها. قد يكون هذا التكرار أيضًا وسيلة لإبراز تفاعل هؤلاء الأشخاص مع التحولات التي تمر بها الرواية، حيث يظهرون في أكثر من موضع، ما يوحي بتأثيرهم المستمر في سير الأحداث، أو ربما تأثرهم بها بشكل متجدد. يمكن اعتبار هذه التقنية السردية جزءًا من رؤية شاملة تعكس تعقيد العلاقات الإنسانية، حيث لا يكون الإنسان كيانًا منفصلاً، بل هو دائم الارتباط بشبكة من الأشخاص الذين يكوّنون جزءًا أساسيًا من هويته ومسيرته.

نسوق مثالا على ذلك مأخوذًا من المقطع الأول لهُواري، يتم تقديمه فيه عبر وصف أخته له"هُوارية"، حيث يتجلى كشخص مستهتر، عالة على والدته، سليط اللسان، بل ويظهر منذ طفولته كشخص عدواني حين تكشف الرواية أنه حاول خنق أخته الرضيعة. ثم تنقلنا الكاتبة إلى جانب آخر من حياته، فتكشف تورطه في بيع الأدوية التي تبين لاحقًا أنها مواد مخدرة، مما يؤسس منذ البداية لصورة شخصية مضطربة أخلاقيًا وغير مستقرة اجتماعيًا.

مع انتقال السرد إلى هُواري 2، يتم توسيع ملامح الشخصية عبر تناول خلفيته العائلية، حيث يُلقى الضوء على والده الذي تخلّى عن أسرته وتزوج ابنة صديقه، مما قد يفسّر جزءًا من حالة التمرد والتفكك التي تطبع سلوك هُواري. كما يُبرز هذا المقطع جانبًا آخر في تكوين الشخصية، وهو اهتمامه بالفروسية، الذي قوبل بالرفض بسبب قصر ساقيه، مما يكشف جانبًا من الإحباطات التي عانى منها والتي ربما أسهمت في تكوين شخصيته المتمردة.

في هُواري الجزء 3، يتم استكمال تطور الشخصية، حيث يوضح السرد لنا كيف ترك الدراسة نتيجة انجذابه إلى عالم المال السهل الذي وفّره له بيع الأدوية، ليدخل بذلك إلى عالم الكبار وهو لا يزال صغير السن. لكن في مقابل هذا الانحدار الأخلاقي، يتم تقديم جانب أكثر حساسية في شخصيته، وهو حبه الكبير للموسيقى وشغفه بالعزف، حيث بذل جهدًا لجمع المال من أجل شراء قيثارة، ليصبح لاحقًا عازفًا ماهرًا(بيوض ي.، هوارية ، 2023 ، ص من 78 إلى 98)، مما يبرز تناقضاته الداخلية بين النزعة العبثية من جهة، والبحث عن معنى أعمق للحياة من خلال الفن من جهة أخرى.

هذه المقاطع لا تقتصر على تقديم تفاصيل متفرقة عن الشخصية، بل تتكامل لتشكل نسيجًا سرديًا مترابطًا يجعل القارئ في كل مرة أكثر إلمامًا بتطور هُواري، حتى يصل إلى نقطة التحول الكبرى. فبينما يتم التأكيد في بداية السرد على مدى تعلّقه بالموسيقى، نجد لاحقًا أنه يلف آلته الموسيقية ويخفيها، في إشارة إلى التحولات الجوهرية التي تطرأ على شخصيته. ومن شاب مستهتر ومنغمس في عالمه الخاص، يتحول هُواري إلى شخص متشدد حد التعصب، حتى ينتهي به المطاف بالانضمام إلى جماعة إرهابية. هذا الانتقال الحاد في مسار الشخصية يكشف كيف أن الرواية لا تتناول شخصية هُواري كحالة فردية معزولة، بل تقدّمه كنموذج للتحولات الاجتماعية والنفسية التي قد تصيب الشباب، خاصة في ظل غياب الاستقرار الأسري والانجراف وراء الإغراءات العابرة.

من الناحية السردية، يُظهر هذا الأسلوب القائم على التقطيع والتكرار كيف أن الرواية لا تعتمد خطًا زمنيًا خطيًا، بل تترك المجال للقارئ لإعادة تركيب صورة الشخصية بناءً على تفاصيل تُكشف تدريجيًا. كما أن تقديم المعلومة بشكل متفرق يمنح النص توترًا سرديًا، إذ لا يتم الكشف عن التحولات

الجوهرية دفعة واحدة، بل يتم التمهيد لها تدريجيًا، مما يجعل القارئ شريكًا في استنتاج المسارات المستقبلية للأحداث. هذه التقنية السردية لا تعكس فقط تطور الشخصية، بل ترصد أيضًا التغيرات الاجتماعية والنفسية العميقة التي تؤدي إلى تحولات جذرية قد تفضي إلى نهايات مأساوية.

إضافة إلى ذلك، يمكن اعتبار هذا التكرار وسيلة لخلق إيقاع سردي معين، حيث يؤدي تواتر بعض الأسماء إلى ترسيخها في ذهن القارئ، فيمنحها نوعًا من الثقل السردي . هذا قد يكون إشارة ضمنية إلى أن هذه الشخصيات ليست مجرد شخصيات ثانوية، بل هي شخصيات تعيش داخل صلب التجربة السردية، وتساهم في تكوين عالم هوارية النفسي والاجتماعي والوجودي، مما يجعلها أكثر تأثيرًا في جوهر الرواية.

وإذا حاولنا البحث في عتبات الرواية عن ما يؤكد كل قراءتنا السابقة، نجد أن أول شيء يجذبنا هو غلاف الرواية والصورة الموجودة عليه، ذلك لأن العنوان والغلاف يمثلان مدخلين أساسيين إلى عالم الرواية، حيث يتفاعلان معًا، لتشكيل الانطباع الأولي لدى القارئ، فالعنوان يمثل البعد النصي، بينما الغلاف يمثل البعد البصري، وكلاهما يشترك في وظيفة تأويلية وجمالية ما يجعلنا نطرح السؤال الآتي كيف يعكس الغلاف دلالات العنوان أو يعمقها؟ وهل يتكامل النص والصورة على الغلاف في تقديم تيمة الرواية؟

2.2 شعرية الغلاف وعلاقتها بالعنوان:

يمثل الغلاف في الرواية عتبة من عتبات النص الأولى التي تستوقف القارئ وتجذبه، ليس في كونه مجرد واجهة تزيينية توضعلتحقيق أغراض تسويقية بل لأنه بوابة رئيسية يهيئ القارئ للدخول إلى النص ويقدم له تمثيلاً بصريًا ومرجعيا للمضمون، إذ يجمع بين العناصر الفنية والرمزية لخلق انطباع أوليّ يحفز الفضول ويُثير الأسئلة، الأمر الذي يجعل منه جزءًا لا يتجزأ من التجربة القرائية.

يتكون الغلاف عادةً من عناصر مرئية مكملة للنص فمن خلاله يمكن للكاتب أو الناشر أن يوجه قراءة القارئ ويحدد له السياق أو الإطار الذي ينظر من خلاله إلى العمل، إذ يمكن لغلاف يحمل أيقونة تعبيرية أو رمزية أن يُقدم تصورًا معينًا عن طبيعة الرواية، إن كانت ذات طابع مأساوي تراجيدي، أو فكاهي أو فلسفي، ذلك لأن "الأيقونة عنوان بصري يتشكل من صور فوتوغرافية أو رسوم تجسيدية أو

تجريدية تكون الغاية منها ترجمة عنوان الكتاب إلى تشكلات لونية وخطية، وتلخيص مقصدية متنه واختزال فكرته العامة"(الإدريسي، عتبات النص ، 2005 ، ص 95).

وعندما نقترب من غلاف رواية "هُواريّة"بجناحيه الأمامي والخلفي، نجد أن كل منهما يحمل نصيبًا من التعبير والتأويل فالغلاف الأمامي يُعد الوجه البارز الذي تلتقطه العين، بينما الغلاف الخلفي يُعمّق الانطباع، ويُقدم القارئ إلى أجواء الرواية أو حتى يمنحه جزءًا من فلسفتها أو فكرتها الأساسية.

1) الغلاف الأمامي للرواية:

الغلاف الأمامي لرواية"هُوارية"هو عبارة عن صورة فوتوغرافية تعرض مشهدًا من مدينة وهران مأخوذًا من زاوية علوية، حيث يظهر ميناء المدينة وتمثال العذراء "سانتا كروز"الذي يعتبر رمزًا بارزًا في وهران، إن اختيار هذه الصورة يؤكد على ما ذهبنا إليه في شعرية العنوان وهو تأكيد آخر على ارتباط الرواية بالمدينة وتركيزها على المكان الجغرافي بوصفه عنصرًا محوريًا في القصة.

يتميز الغلاف بخلفية يطغى عليها اللون الأزرق المائل إلى الأخضر، مما يخلق إحساسًا بالهدوء والانسيابية مع ارتباط رمزي بالماء والسماء وهما عنصران يعبران عن الحرية والبحث عن الذات وقد يوحي أيضا إلى الروح المتوسطية للمدينة التي تتميز بإطلالتها البحرية.كما تحتوي الواجهة على صورة مركزية تُظهر مشهدًا بانوراميًا لمدينة ساحلية تطل على البحر والميناء ما يعكس ربما فكرة الانفتاح على العالم أو فكرة التنقل و الهجرة.

يبرز أيضا في الزاوية السفلى من الجهة اليسرى جزء من معمار محلي يعبر عن الهوية الثقافية والإرث التاريخي للمكان، هذا التوظيف والدمج بين معالم تاريخية مثل تمثال العذراء ومشهد حديث للمدينة يعكس صراع الهوية بين التراث والحداثة وهو موضوع قد يتكرر في فصول الرواية.

يضاف إلى هذا استخدام سحب باهتة في الأعلى تتخللها ملامح امرأة غير واضحة مما يضفي أجواءً حالمة أو فلسفية أو ربما تشير إلى حالة من الغموض الأنثوي، وقد يحمل أبعادًا مجازيةً تشير إلى سمو المرأة وقداسة دورها في الرواية من خلال ارتباطها بالسماء أو رمزا لطموحها وتطلعاتها في إثبات ذاتها و هويتها .

أما بالنسبة للكتابة على الغلاف الأمامي اعتمدت على خط واضح وبسيط، حيث يظهر العنوان بخط أبيض بارز وعريض يعطي توازنًا مع الخلفية، ويضفي إحساسًا بالنقاء والوضوح، لكنه موضوع في خلفية مزدحمة بصريا(المدينة و السماء) مما يخلق تباينًا يشد انتباه القارئ، بينما اسم الكاتبة إنعام بيوض يظهر في أعلى الغلاف وقد كتب بخط أصغر وأقل بروزًا، مما يركز الانتباه على النص الأدبي بدلًا من صاحبته، ويؤكد على دور الكاتب كعنصر ثانوي بالنسبة للعمل نفسه.

وبهذا تكون الصورة العامة لغلاف الرواية عبارة عن مجموعة من دلالات متعددة تجمع بين الواقعية وبين التأمل، الأمر الذي يعكس مزيجاً بين المضمون السردي و الرمزية.

2) الغلاف الخلفي:

الغلاف الخلفي يستكمل نفس اللون بدرجة أغمق قليلاً، مما يعزز التناسق البصري مع الغلاف الأمامي، كما يتضمن الغلاف على الجانب الأيمن صورة صغيرة للكاتبة، توضع عادةً لوضع القارئ في إطار شخصي مع المؤلفة، باعتبارها جزءًا من العمل الفني، بالإضافة إلى مساحة مخصصة لوصف مختصر للرواية يحمل إشارات لفكرة أو موضوع الرواية، وقد كانت الطباعة منظمة بشكل بسيط ومتناغم، يتيح مساحة للعين للتركيز على النصوص دون تشويش بصري تضاف إليها الخلفية الخضراء التي تتسم بالهدوء والاتساق، مما يدعم الطابع العام للرواية من حيث المزاج والإيحاء.

مختصر الرواية ،عبارة عن مقطع أخذ من نص الرواية في الفصل المعنون بـ"ها"في الصفحة مائة وخمسة وأربعون ،ولعله الجزء المهم الذي يمكن أن يعبر عن مرامي الرواية وأهدافها في شكل موجز مقتضب ومركّز، و على لسان الشخصية الرئيسة في الرواية.

النص المكتوب في الغلاف الخلفي للرواية يعالج قضية مهمة لا تعاني منها هُواريّة فقط بل كل أنثى في مجتمع ذكوري متسلط وهي مسألة الهوية وإثبات الذات، حيث تتجلى في النص قضية تحول الفتاة هوارية التي كانت بلا هوية تعاني التهميش والتجاهل وسط مجتمعها، حتى من والدتها التي كانت تناديها بـ"ها"كأنها بهيمة مجردةُ إياها من اسمها وهويتها في محاولة ضمنية إلى عدم الاعتراف بقيمتها كإنسان، وكذلك أخوها الذي كان يناصبها العداء إلى شخصية معروفة ومحورية، لها سلطة معينة تكمن في قدرتها

على تقديم شيء يتجاوز المنطق المألوف وهو كشف الغيب وقراءة الطالع، وهي موهبة اكتسبتها نتيجة صدمة نفسية تعرضت لها، منحت لها سلطة خارجة عن النظام الاجتماعي التقليدي ما جعلها مصدر رهبة ورغبة في الآن نفسه، من خلال لجوء الناس إليها لحل مشاكلهم حتى من أرباب المال وأصحاب النفوذ، تقول الكاتبة على لسان هوارية:"الكثير من الرجال يقبعون في سيّاراتهم الفخمة أو حتى في بيوتهم ويوكلون نساء لقراءة طالعهم. وأحيانا يستبدّ بي الفضول فأتلصص عليهم من نافذتي المطلة على الشارع مباشرة، لأرى تلهّفهم إلى سماع ما ينتظرون، ولأقرأ تعابير الدهشة والتعجب لقدرتي على الولوج في حميميّتهم وتعرية أسرارهم"(بيوض إ.، 2023 ، ص 146).

رغم هذا التحول الكبير الذي استطاعت هوارية الوصول إليه إلا أنه يبقى محكومًا بسياقات السلطة والمجتمع الذي يرفض الاعتراف بها علنًا ويصر على الاستمرار في استخدام "هاء"أوHفي هواتفهم كنوع من الخوف من افتضاح أمرهم هذا ما يفسر وجود نفاق اجتماعي بين الفرد والمجتمع ضمن السياق الثقافي الجزائري الذي يتوجس من تقاليد السحر والعرافات لكنه في الجانب الآخر يعتمد عليها في الخفاء، هذه العلاقة المتناقضة تم الترميز إليها بشخصية "هوارية"، فمن جهة المجتمع يرفض الاعتراف العلني بدورها لأن زيارة العرافات تعتبر عملا مشينًا ومن جهة أخرى يعتمد عليها في حل مشكلاته و التنبؤ بمستقبله .

3) رمزية تمثال العذراء وعلاقته بالمضمون:

يتجلى في رواية "هوارية"، بعدٌ رمزيّ عميق يتجاوز المستوى السردي المباشر، ويخترق جدار التفسير التقليدي للحدث، ليُثير تساؤلات حول مصير الشخصية ومحطة التحول الحاسمة في حياتها. إن الاختيار الجمالي لصورة "سانتا كروز"كواجهة للرواية والتي تظهر فيها العذراء وهي تنظر إلى مدينة وهران من أعلى الجبل، ليس مجرد توظيف بصري لعناصر دينية ورمزية فحسب، بل هو تأصيل لمفهومٍ عميق يتعلق بالتوبة، والشفاء، والمقدس الذي يظلّ حاضرًا رغم ما يتعرض له من أهوال.

تبدأ الحكاية بالإشارة إلى تمثال العذراء في وهران، الذي يُقال إنه قد وُضع تقديرًا لتفريج وباء الكوليرا الذي أصاب المنطقة في زمن بعيد، ليخلص أهلها من جائحة حصدت الأرواح. يتلاقى هذا الموقف مع قصة شخصية"هوارية"، التي فقدت حبيبها في ظل حادثٍ مروع على يد جماعة إرهابية، ما

جعلها تمر بتجربة نفسية حادة. الكوليرا هنا، كما هو الحال مع الموت الناتج عن الإرهاب، تمثل وجهًا آخر للألم والمعاناة، التي تُجبر الأفراد على مواجهة الموت والتأمل في معنى الحياة والمقدس.

من خلال هذه الرؤية، يمكن أن نرى أن الصورة الدينية للقديسة العذراء، الواقفة على قمة الجبل ك "شاهد"يشرف على مصير المدينة، تمثل الصراع الداخلي لـ "هوارية". فهي، من جهة، تعرض هيبة المكان وروح المدينة التي تخلصت من الوباء بفضل العذراء، ومن جهة أخرى، تدل على تحول هوارية نفسها من فتاة بلهاء إلى شخصية مقدسة، تعكسها قدرتها على قراءة الطالع.

إذا كانت العذراء قد ارتبطت بمفهوم الشفاء الجماعي في القصة التاريخية، فإن "هوارية"تمثل الشفاء الفردي؛ فهي، مثل العذراء، تحمل مهمة منح الأمل، لكنها تختار منح الأمل ليس في جماعة بأسرها، بل في الأفراد الذين يطلبون منها أن تكون مرشدتهم، وقد ورد هذا في نص الرواية وعلى لسان هوارية تحديدًا تقول فيه :"على الرغم من الشهرة التي بدأت أتمتّع بها في الحيّ والجوار، كنت أشعر بأن زوّاري ومن حولي يرونني طيفًا يعتمر نبوءة، ولا يشعر أيّ منهم سوى بكفّه الحامي في يدي اليمنى، الموصول بشاشة راحتي اليسرى التي تعكس لي صوتًا وصورةً وإحساسًا سيرهم المعلنة والخفيّة، كان يُخيّل إليّ بأن أحدًا لا يعرفني حق المعرفة ككائن بأبعاد ثلاثة. حتّى أمي صارت تنظر إليّ كمالو كان بيننا حاجز غير مرئيّ أتلاشى خلفه بمجرّد أن تشيح ببصرها عنه."(بيوض إ.، هوارية، 2023 ، ص 152).

إن تحول هوارية من فتاة "بلهاء"إلى امرأة "مقدسة"قد يكون في ذاته انعكاسًا لرؤية أعمق تنطوي عليها الرواية من خلال التحولات النفسية والجسدية التي يتعرض لها الإنسان في مواجهة الأزمات الكبرى. تمثال العذراء على قمة الجبل يصبح تجسيدًا لذلك الوعي الجديد الذي يتسلح به الإنسان بعد مواجهة الموت، سواء كان ذلك الموت جراء الوباء أو على يد الإرهاب.

التمثال، كدلالة رمزية، يعكس صراعًا داخليًا؛ فالعذراء التي تبصر المدينة من أعلى الجبل، تُحيل إلى تلك النظرة العلوية البعيدة عن النزاعات اليومية، وكأنها تجسد حكمة السماء التي ترى كل شيء من منظور شامل. في المقابل، هوارية، مثل العذراء، تطل على حياتها الداخلية من زاوية مختلفة، فبعد أن كانت "بلهاء"، بدأت ترى ما لا يراه الآخرون، وامتلكت قدرةً خارقة لفهم الأقدار. وبالتالي، يصبح تحول

هواريةبمثابة انبعاث روحي، يتوازي مع ما يمثل تمثال العذراء من قيمة دينية، إلا أن هذه القيمة في حالة هوارية تتخذ طابعًا شخصيًا وعميقًا، حيث تجد في نفسها القدرة على الارتقاء الروحي والتجاوز لآلام الماضي.

وبذلك، تكون صورة العذراء في غلاف الرواية قد تم توظيفها كدلالة رمزية تتواشج مع مسار حياة هوارية، وهي في نهاية المطاف تعبير عن الشفاء الروحي والتحول العميق. فهو ليس مجرد تمثال للعذراء، بل تجسيد لمفهوم القداسة والتغيير الذي يتسرب إلى هوارية بشكل غير تقليدي، حيث لا تكمن قدسيتها في محض الهالة الدينية التقليدية، بل في قدرتها على قراءة المستقبل، وفي قوة تجاوزها للألم، وتحويله إلى سلاح لتوجيه الآخرين نحو غدٍ أكثر وضوحًا.

مسافةأيضا يمثل التمثال في حد ذاته، تلك الثنائية التي تجمع بين القداسة والألم، بين الخلاص والتضحية، وبين الأمل والموت. إن "هوارية"تجسد تلك الرمزية بشكل دقيق، إذ أصبحت هي الأخرى شاهدًا على الألم، لكنها أيضاً مرشدة تفتح الأفق لمن يطلب النور، تمامًا كما فعلت العذراء لأهل وهران.

3. دلالة حرف الهاء في رواية"هُوارية":

1.3التحليل الصوتي والدلالي :

حرف الهاء في عنوان رواية "هوارية"يمثل بعدًا لغويًا عميقًا ودلالة رمزية تتجاوز سطح الصوت، حيث يتشابك مع الإيحاءات الثقافية والاجتماعية التي تنطوي عليها معاني الأنوثة والمكانة. فالتركيز على حرف الهاء، الذي يعد من الحروف الهوائية المهموسة في علم الأصوات، يعكس حالة المرأة في المجتمع كما تتجسد في النص الروائي، ويكشف عن الطابع الهامشي والمخفي لها، تمامًا كما أن هذا الحرف غير ظاهر في نطقه بشكل قوي وواضح.

وعند دراسة الصوتيات، نجد أنَّ حرف الهاء يتميز بكونه حرفًا هوائيًا مهموسًا، ما يعني أنه يعتمد على تدفق الهواء عند نطقه، ويخلو من الصوت الجهوري. هذا يُظهر سمة هشة وضعيفة في بنية الصوت، وهي سمة يمكن أن تعكس بشكل رمزي الوضع الاجتماعي للمرأة في العديد من السياقات الثقافية والتاريخية. إنَّ الهاء، بما يحمله من خفوت وضعف في النطق، يمثل الضعف والتقوقع الاجتماعي المفروض

على المرأة، ويمثل أيضا تلك الهوية الخفية التي تعيش في الظلال، بعيدًا عن بؤرة الضوء. فالمرأة، في كثير من المجتمعات، تُعطى هامشًا ضئيلًا من الظهور، سواء في الميدان العام أو في الخطاب الثقافي.

وإذا عدنا إلى كتاب "العين"للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي أسس فيه معجماً يعتمد على مخارج الأصوات في عملية ترتيبه للحروف، نرى أنَّ الخليل قد بدأ بمعالجة الحروف في معجمه من الأعمق مخرجًا في النطق إلى الأقل عمقًا، مبتدئًا بحرف العين الذي يعتبر من الحروف البائنة الواضحة، على عكس الهاء الذي يظل خافتًا غير ظاهر بشكل جلي. إنَّ ترتيب الخليل هذا يمكن أن يقرأ كتمثيل للبنية الذكورية في المجتمع، حيث يُعطى الصوت الواضح والمركز لأولئك الذين يمثلون الهيمنة الذكورية، بينما يُحرم الحرف الضعيف، المهموس، الهامشي – الذي يمثل الأنوثة – من أن يكون في الصدارة.

هذا التوزيع الصوتي يعكس في ذاته رؤى اجتماعية وثقافية حيث يُحتفل بالقوة والوضوح – وهي سمات ترتبط بالذكورة – بينما يتم تهميش الأصوات الأكثر ضعفًا وهمسًا، كأنما تمثل تلك الأصوات النسائية التي لا تُسمع أو تُستبعد من دائرة القيادة والزعامة. في هذا السياق، تصبح الهاء في "هوارية"بمثابة رمز لحالة المرأة في المجتمع الذي يسلبها القدرة على الظهور في الساحة العامة، ويحصرها في الهامش أو في الظل، كما يفرض عليها السكوت أو التخفّي.

يمكن القول أن اختيار الكاتبة لحرف الهاء لا يتوقف عند هذا البُعد الصوتي، بل يتعداه إلى بعدٍ رمزيٍ أعمق، حيث يشير إلى تجسيد الأنوثة المقموعة في وجه السلطة الذكورية التي تُعتبر هي السائدة والمهيمنة على مسرح الحياة العامة. فاختيار حرف الهاء تحديدًا يشير إلى كون هذه الشخصيات النسائية تعيش في قيد الصمت والخفاء، وهي لا تملك من القوة والظهور ما يوازي الأسماء الذكورية التي عادة ما تكون أكثر وضوحًا وأكثر حضورا في الخطاب الثقافي والاجتماعي. وبذلك، يصبح حرف الهاء أداة ترويض سوسيولوجي للمرأة، ووسيلة لتسليط الضوء على التحديات التي تواجهها في البحث عن مساحة لتكون صوتًا فاعلًا ومستقلًا في عالم غالبًا ما يكون صوت الرجل فيه هو المسموع والمقدر.

ومن هنا، نجد أنَّ الكاتبة في اختيارها لهذا الحرف الدقيق لا تكتفي بتقديم شخصية نسائية تضع نفسها في صراع مع الواقع، بل تطرح أيضًا تساؤلات جادة حول التمثيلات الأنثوية في الثقافة العربية،

وتكشف عن العوائق اللغوية والاجتماعية التي تحد من ظهور المرأة بشكل جلي. إنَّ الهاء، برغم طابعها المهموس، تظل تومئ إلى حضور مستمر في الوجود الأنثوي، لكنه حضورٌ يُبقيها في الظل، بعيدًا عن الأنظار، كما لو كانت هي صمتًا لا يُسمع، لكنه حتمًا موجود.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى نقطة بالغة الأهمية إذ لم يقتصر حضور حرف الهاء في العنوان الرئيسي فقط بل تعداه ليصبح قاسمًا مشتركًا مع جميع العناوين الفرعية، والتي كانت في أصلها كما سبق ذكره أسماءً لشخصيات الرواية وهذا التكرار والتواجد لم يكن حكرًا على صنف واحد من الشخصيات بل يشمل كلا الجنسين، مما يدفع إلى إعادة النظر في الفرضيات السابقة وتوسيع نطاق التحليل ليشمل دلالات حرف الهاء في سياق أوسع، يتجاوز الهوية الأنثوية ليشمل الهوية بشكل عام، سواء كانت أنثوية أو ذكورية.

2.3مركزية حرف الهاء في الرواية:

لا يختلف اثنان في أن العناوين في النصوص الروائية سواء الرئيسية أو الفرعية، لها حمولة دلالية تساعد القارئ على فهم المحتوى من خلال الوظائف البنيوية والدلالية التي تؤديها.

رواية هُواريّة لا تحمل بنية إفرادية مقصورة على العنوان الرئيسي فقط، بل تتجاوز ذلك إلى العناوين الفرعية أيضا، مثل ((هُواري، هاجر، هشام، هاني، هديّة، هاشمي، هبة، هالة، هبيرة، هنّان، هجيرة، هناء)). ما يجلب الانتباه فيها هي أن جميعها تضمنت حرف الهاء وهو أمر ليس عابرًا أو اعتباطيًا، بل ينطوي على دلالة صوتية وسيميائية عميقة، باعتبار أن حرف الهاء من الحروف الحلقية المرتبطة بالتنفس وبالهمس والأنوثة.

في هذا السياق يمكن اعتبار الهاء رابطًا هوياتيًا بين الشخصيات، حيث يرمز إلى الانتماء، سواء كان مكانيًا أو شعوريًا ، وهو الأمر الذي تجلى بوضوح في اسم مدينة وهران والتي تتضمن الهاء هي الأخرى في بنيتها الصوتية، هذا الاشتراك الصوتي بين أسماء الشخصيات واسم المدينة يُحيل إلى فكرة الهوية الجمعية، وكأن حضور الهاء يشير إلى انتماء مكاني وثقافي محدد إضافةً إلى بعد آخر يتعلق بالتجربة الأنثوية خاصةً إذا أخذنا في الاعتبار دلالة العنوان"هُوارية"الذي يحمل بصمات أنثويةً واضحة.

وإذا كانت جميع الشخصيات الأساسية تشترك في حرف الهاء، فإن الشخصيات الثانوية لا تتضمنه مثل شخصية ((بوزيان، لالا مينة، خيرة، عمّارية، بختة، مختار)) ولم يكن لها نصيبٌ في عنونة مقاطع الرواية أيضًا، وهو ما يفتح المجال أمام تأويل دلالي عميق فمن جهة يمكن اعتبار أن غياب الهاء من الشخصيات الثانوية يُشير إلى الاختلاف الهوياتي، بمعنى أن هذه الشخصيات الثانوية ليست جزءًا من النسيج الأساسي للرواية، بل تؤدي وظائف عابرة أو تكميلية داخل السرد.

من جهة أخرى، فإن الهاء بوصفه علامة هوياتية مشتركة بين الشخصيات الأساسية، يعني أن غيابها عن الشخصيات الثانوية يعكس تهميشًا مضاعفًا، فهذه الشخصيات، وإن كانت حاضرة داخل النص، فإنها لا تمتلك ذات الأهمية أو العمق السردي الذي تتمتع به الشخصيات الرئيسية، وكأن الرواية تُقيم حدودًا واضحة بين المركز والهامش، بحيث يصبح وجود حرف الهاء مؤشرًا على المركزية، وغيابه علامة على الهامشية.

بينما اسم "آباش"الذي جاء كعنوان للمقطع الأخير من الرواية يُشكل استثناءً لافتًا في بنية العناوين الفرعية، إذ إنه الاسم الوحيد الذي لا يحتوي على حرف الهاء، وهو في الرواية اسم لحصان. يمكن تحليل هذا الاستثناء من زوايا متعددة:

أولاً، يُمكن اعتبار أن عدم احتواء"آباش"على الهاء يُؤكد على أن الهاء ليس مجرد عنصر صوتي، بل هو علامة هوية بشرية، وبالتالي فإن غيابه عن اسم الحصان يعزز التقابل بين الإنسان والحيوان داخل النص.

ثانيًا، قد يكون هذا الاختلاف في التسمية وسيلةً لتسليط الضوء على وضعية الإنسان داخل السرد، إذ يمكن أن يُفهم أن امتلاك الشخصيات البشرية لحرف الهاء يُشير إلى هشاشتها أو تهميشها، بينما خلوّ اسم الحصان منه قد يعكس دلالة معكوسة، حيث يُصبح الحيوان كيانًا أكثر استقلالية أو تحررًا من قيود الهوية البشرية.

ثالثًا، من الممكن أيضا أن يكون اختيار"آباش"دون حرف الهاء محاولة لإظهار فجوة رمزية بين الإنسان والطبيعة، حيث إن الشخصيات مقيدة بحرف الهاء كرمز للانتماء، بينما الحصان خارج هذه الدائرة، مما يعزز فكرة أن الإنسان–رغم حضوره القوي في الرواية– يظل محاصرًا بقيود هويته.

إلى جانب هذا الاستثناء الذي تم رصده هناك استثناء آخر لكن ليس على مستوى حرف الهاء لأنه يحتوي هو الآخر على ذلك الحرف، الاختلاف الموجود فيه عن بقية العناوين أنه لا يحمل اسم شخصية، بل جاء في صيغة نداء مختصرة وهذا الاختلاف يفتح هو الآخر المجال أمام عدة قراءات دلالية:

أولا، "ها"بوصفه نداءً شائعًا في لهجة الغرب الجزائري يُشير إلى طبيعة التواصل في البيئة التي تنتمي إليها الشخصيات، يعكس البعد المحلي والشفوي داخل الرواية.

ثانيًا، ارتباط هذا النداء بشخصية هُواريّة، التي كانت تُنادى به من قبل والدتها، يحمل دلالات تتعلق بالهوية والاعتراف، فكون الأم تنادي ابنتها بهذه الطريقة يجعل النداء أقرب إلى طريقة التعامل مع البهائم كما عبرت عن هذا في الرواية، وهو ما يعني تهميشًا مضاعفًا للشخصية، حيث يتم تقليص وجودها إلى مجرد صوت نداء غير شخصي، وكأنها فاقدة للهوية أو لا تُعامل بوصفها كيانًا مستقلًا.

ثالثًا، اقتصار العنوان على حرفين فقط (ها) يعزز فكرة الاختزال والطمس، وكأن هذه الشخصية– على الرغم من كونها محورية– تعاني من تلاشي ملامحها الفردية لصالح نظرة الآخرين لها، فبينما تحمل بقية الشخصيات أسماءً تتضمن حرف الهاء كبصمة هوية، فإن هوارية تُختزل في مجرد نداء عام، ما يدل على حالة الضياع أو الإلغاء الرمزي لشخصيتها.

استنادًا إلى هذا التحليل يتضح أن حرف الهاء في رواية"هوارية"ليس مجرد حرف لغوي، بل هو رمز يحمل دلالات صوتية وثقافية و هوياتية،فمن خلال دراسة هذا الحرف في العناوين الرئيسية والفرعية، يمكن فهم الدور المركزي الذي تلعبه الهوية الثقافية في بناء النص الروائي.

تكرار حرف الهاء يعكس وحدة الهوية التي تجمع بين الشخصيات، بينما غيابه يعكس هامشية الشخصيات الثانوية، أما الاستثناءات في العناوين فتضيف تعقيدًا إلى هذا الرمزية، مما يجعل حرف الهاء عنصرًا جوهريًا في فهم الرواية وتأويلها.

4.خاتمة:

تتضح من خلال هذه الدراسة أن العنوان الإفرادي في رواية هواريةللكاتبة إنعام بيوض يُشكّل عتبةً نصية ذات حمولة دلالية وصوتية غنية، تتخطى وظيفته الإشارية إلى بُعد شعري وتأويلي يعكس طبيعة الخطاب السردي في علاقته بثنائية السلطة والهوية. لقد كشف التحليل الصوتي عن الدور الذي يلعبه تكرار حرف الهاء في خلق إيقاع داخلي يعزز الإحساس بالحيرة والاغتراب، مما يجعل العنوان امتدادًا للنص الروائي نفسه، لا مجرّد تسمية اعتباطية.

إن حضور حرف الهاء بوصفه عنصرًا صوتيًا متواترًا يمنح الرواية بُعدًا إيقاعيًا يتماهى مع توترات الشخصيات وصراعاتها الوجودية، وهوما يعكس توظيفًا واعيًا للبنية الصوتية في تشكيل دلالات النص. من جهة أخرى، فإن تحليل هذا التكرار من منظور الدلالة الصوتية أظهر ارتباطه الوثيق بتيمات الرواية، حيث يتحوّل الصوت إلى عنصر دالٍّ على هشاشة الهوية وضغوط السلطة التي تحاول قمع الفرد وتشتيت صوته.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن شعرية العنوان الإفرادي تتجلى في قدرته على تكثيف أبعاد الرواية السردية والنفسية في بنية لفظية موجزة، مما يؤكد أن العنوان لا يُقرأ منعزلًا عن النص، بل يتفاعل معه في إطار شبكة دلالية وصوتية معقّدة. وهكذا، فإن هذا البحث يفتح المجال لمزيد من الدراسات التي تستكشف البعد الصوتي في تشكيل الدلالة الروائية، خاصة في النصوص التي تتعامل مع قضايا الهوية والصراع الوجودي، ومن بين الاقتراحات التي يمكن أن تساهم في تطوير هذه الدراسات والكثير من الدراسات التي لها علاقة بها نذكر :

-إجراء مزيد من الدراسات التي تركز على البُعد الصوتي في النصوص الروائية الأخرى، خصوصاً تلك التي تتناول قضايا الهوية والصراع الوجودي.

- تطوير منهجيات تحليلية جديدة تدمج بين البُعد الصوتي والبُعد الدلالي في النصوص الأدبية لفهم أعمق للغة السرد.

- توسيع البحث ليشمل دراسة التأثيرات الصوتية في عناوين أعمال أخرى للكاتبة إنعام بيوض لمقارنة أساليبها في بناء العنوان السردي.

5. قائمة المراجع:

- إنعام بيوض. (2023). هوارية . الجزائر: دار ميم للنشر – ط 1.
- بسام قطوس. (2001). سيمياء العنوان. ص 31. عمان، الأردن: طبع بدعم من وزارة الثقافة.
- شوقي بزيغ. (2005). محنة العناوين . الكويت : مجلة العربي ، العدد 565 .
- مُحَمَّد الأمين سعيدي. (2013). شعرية المفارقة . دار فيسيرا – ط 1.
- مُحَمَّد لطفي اليوسفي. (1992). لحظة المكاشفة الشعرية و الإطلالة على مدار الرعب . تونس، تونس: الدار التونسية للناشر– ط 1.
- يوسف الإدريسي. (2005). عتبات النص . بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم – ط 1

https://www.almaany.com/ar/name/%D9%87%D9%88%D8%A7%D8%B1%D9%8A/

.